الحقيقة كلّها ...

مسرحية في فصل واحد

بقلم الدكتور عمر النص

ساحة البلدة . في صدرها بوابة عالية يدخل منها الناس ويخرجون . وفي وسط الساحة جسم معدنيّ ضخم يبلغ ارتفاعه حوالي مترين ولا يشبه اي آلة نعرفها . الوقت فجر، والنوافذ مطفأة ما عدا نافذتين اثنتين .

الغريب : انا لم آت هذه البلدة لاسكنها بل لانذرها ، فقد علمت ان كارثة سوف تنزل بها فاردت ان انقذها . اما كيف علمت بأمر هذه الكارثة فهذه قصة احب ان احكيها .

حدث هذا كله ذات يوم . كنت في حقلي اقلع شجرة وأغرس مكانها سيفا : فقد نمي اليّ ان والي البلدة يريد ان يأخذ ارضي غصبا وأن يهبها لاتباع له ضاقت عيونهم حتى نقموا على هذه الخضرة التي اصنعها بيديّ . وبغتة سمعت صوتا مرعبا .. حادا كاد يصم اذني . فاردت ان اعلم مصدر هذا الصوت فرفعت عيني الى السماء فرأيت شيئا غريبا . معذرة اذا كنت لا احسن وصف الاشياء ، فانا انسان عادي يحاول ان يرى الامور على حقيقتها ، دون ان يزخرفها او يدفنها وراء غطاء من الفاظ لا معنى لها . فاذا قلت انني رأيت شيئا غريبا فلأن عينيّ لا تذكران انهما وقعتا يوما ما على ما يشبهه . اما لون ذلك الشيء واما شكله فقد حال خوفي بيني وبين ان اتبينهما . ولكني على الرغم من ذلك احسست ان خطرا ما .. خطرا داهما مرعبا يكمن وراء ذلك الشيء . ترى هل كان الشيء آلة من تلك الالات التي نسمع بها ولا نعرفها؟ ام كان مخلوقا عجيبا افلت من مكان مجهول لينقضّ على هذه البلدة ؟ وبينما انا في تأملي هذا رأيت ذلك الشيء يندفع متلويا متباطئا حتى استقر في سماء هذه البلدة وأخذ في الهبوط الى ارضها .

فلت : هذا امر لا يصح ان اسكت عنه ، فالبلدة ليست بلدتي ولكن ناسها الذين يعيشون فيها ناس مثلي ، اعرف بعضا منهم كما اعرف اقاربي وآنس الى فريق منهم كما آنس الى اصدقائي . كانت الارض حبلى بسنابل لا عد لها .. ولكن قدميّ كانتا تدوسانها مخافة ان تهلك البلدة قبل ان يصلها صوتي . ولكن البلدة كانت نائمة . كانت احداقها ما تزال مشدودة الى احلام حمقاء تهدهدها . اما ذلك الشيء الذي لمحته آتيا فقد كان هنا . ووقفت لحظة لا ادري ماذا اصنع. اردت ان ادق الابواب لاوقظ اصحابها . ان اذرع البلدة لاستأذن على واليها .. لاستثير همة قائدها . ولكن الابواب ظلت مغلقة في وجهي . اما صوتي فكان ضعيفا مهدودا لا يكاد يبلغ اي اذن . ترى أكان صوتي مهدودا حقا ! ام ان آذان هذه البلدة لم تكن آذانا ؟

قد تسألون ان ادلكم على موضع هذه البلدة من الارض، هل تقع على ضفة نهر ام تنتصب على قمة جبل ؟ ما اسمها ؟ ما عدد سكانها ؟ واي نوع من الناس هم ؟ ولو سألت نفسي هذا السؤال لما استطعت ان اصل الى جواب شاف.. فالبلدة مثل اي بلدة اخرى لم تختر مكانها من الارض ولم تختر قاطنيها . فلنقل انها بلدة كغيرها . قد تكون بلدتنا هذه نفسها ، وقد تكون بلدة اخرى لا نعرفها . ولا اظن ان شيئا ما من حكايتنا سوف يتبدل اذا اعطينا البلدة اسما وحددنا لها موقعا .

اذن فلننظر معا اليها . لقد قلت لكم انها ما تزال نائمة، على انني اكاد المح نافذتين اثنتين قد اوقدت الاضواء فيهما. ولكن هذا لا يعنينا حقا . فكم من بلدة نام سكانها وسهر عليها حارس منها لم تغتمض له عينان . اما هنا فقد اتخذ النوم من كل جفن سريرا . حتى والي البلدة لم يشأ ان يسهر على ما يدبر له في الخفاء فأسلم عينيه الى نوم عميق بليد..

قلت لكم ان هذا لا يعنينا حقا ، غير اني اكاد احس في اقوالي نقمة لا اعلم سببها . أتراني نقمت على هذه البلدة قبولها لما حل بها ، وتسليم شؤونها الى غيرها ؟ ام نقمت عليها شيئا في سلوكها يجعلها لا تقيس امورها بمنطق او تفكر في مستقبلها بجد ؟ انا لا يعنيني ان يكون في هذه البلدة اغبياء طيبون لا يعرفون ماذا يفعلون بعقولهم ، فهذه البلدة كأي بلدة اخرى لم تنج من اشرار لهم سواعد يهدمون بها ولكن ليس لهم عقول . انظروا اليها . انظروا الى ارضها . لقد احترقت انداؤها . الستم ترون الى اعشابها ملتصقة بالتراب كأنها تريد ان تمتص كل ما فيه من ماء ؟ لقد تبلد حسها . حتى الغبار صار شيئا لا تكمل الحياة الا اذا انتشر في عينيها . لقد استسلمت هذه البلدة لجهامة حاضرها . لقد نسيت كيف تثغر غاضبة اذا مسها اذى . لقد نسيت كيف تنتفض ساخطة اذا نالها ضر . انها بلدة هازلة غير جادّة ، ساكنة غير غاضبة، مستسلمة غير ثائرة . حتى الريح المسمومة غدت في فمها قوتا سائغا تلوكه كما تلوك فطعة من الحلوى .

اطلب منكم الصفح عن اطالتي . لقد بدأت البلدة تتحرك.

بدأت ثرثرة نسائها . بدأت حماقات رجالها . ترى ماذا تفعل البلدة الان حين ترى هذا الشيء منصوبا في ساحتها ؟ هل تحاول ان تفهم معناه ؟ هل تحاول ان تدرأ عن نفسها خطرا يتهددها ؟ هل تحاول ان تجد لها منه مخرجا ؟

(يدخل رجل وامرأة)

رجل : ألم اقل لك انني سوف اشتري لك قمرا ؟

امرأة : ومن قال انني اريد قمرا ؟ اريد عقدا من اللؤلؤ .

رجل : هذا امر فوق طاقتي . ولكنني مع ذلك سأشتري لك قمرا .

امرأة : لقد انقطعت عن حبي .

رجل : وما شأن الحب بهذا العقد الذي تريدينه ؟

امرأة : ألم تقل عندما تزوجتني بأنك لن تمنع عني شيئا ؟

رجل : هل فعلت في حياتي كلها معك شيئا تكرهينه ؟

امرأة : كلا . ولكنك لا تريد ان تشتري لي عقدا من اللؤلؤ .

رجل : يا امرأة ، كوني على ثقة بانني سوف اشتري لك ذلك العقد عندما يصبح ذلك في امكاني .

امرأة : عندما تجد كنزا ؟..

رجل : بل عندما اعود من رحلتي .

امرأة : هل ستجلب لنا رحلتك مالا ؟

رجل : هذا ما اتمناه .

امرأة : ولكن أليس في بلدتنا هذه كنوز نستطيع ان نستخرجها ؟

رجل : لقد أجدبت ارضنا .

امرأة : الم تكن نهب الخير لالوف من الناس ؟

رجل : سكانها اصابهم الوباء .. لقد اصبحت ايديهم ترشح صديدا..

امرأة : ليتك لا ترحل ..

رجل : والعقد الذي تريدينه ؟

امرأة : لا اريد العقد . سأكتفي بالقمر الذي سوف تشتريه لي .

رجل : قد تنتظرين مدة طويلة قبل ان استطيع ان اشتريه .

امرأة : وقد يأتي بعد قليل .

رجل : من يدري ؟

امرأة : انظر (وقد لفت نظرها وجود الشيء في الساحة فتحدق اليه غير مصدقة) .

رجل : ماذا ؟

امرأة : ارى شيئا .

رجل : ترين شيئا ؟

امرأة : اقترب منه .

رجل : لم يكن في الساحة من قبل .

امرأة : لعله هبط من السماء .

رجل : لا ادري ما هو .

امرأة : هل رأيت مثله من قبل ؟

رجل : هذه اول مرة تقع عيناي على مثله .

امرأة : ماذا نفعل ؟

رجل : ماذا نفعل ؟!

امرأة : قل انت .

رجل : بل قولي انت .

امرأة : نمتطيه ونرحل به الى ارض لا ينبت ترابها الا الزنابق .

رجل : انت تحلمين .

امرأة : لم يبق لنا شيء نفعله غير هذا ..

رجل : قد يطير بنا الى كوكب اخر .

امرأة : الكواكب لا يصلها امثالنا ، نكفينا ارض خضراء لا ينبت ترابها غير الزنابق .

رجل : ارض خضراء ! ما احلى ان يكون لي مثل هذه الارض .. احرثها واسقيها واجعل من قلبها البكر رحما مملوءا بالسنابل والياسمين .

امرأة : وعندها ستبني لنا بيتا لا تصل اليه اصوات المعذبين وصياح القردة الممسوخة بشرا .

رجل : لن يكون عند ذلك للعقد الذي تريدينه اي معنى ..

امرأة : سألبسه لك وحدك . سأضعه في عنقي لأدل اسراب الحاسبين على العش الذي سأصنعه لها .

رجل : وسآتي بالقمر فأزرعه في حديقة بيتنا حتى اذا جاء وقت الحصاد قطفنا منها الف قمر وقمر .

امرأة : هل نذهب فنعد عدتنا للرحيل ؟

رجل (وهما يخرجان) : لنذهب قبل ان يرانا احد فيفسد علينا حلمنا.

(يدخل من الجانب الاخر من المسرح امرأة اخرى ورجل اخر)

رجل : كلا . لن استعدي الوالي على جارنا الاسكاف فهو رجل مسكين.

امرأة : اشفاقك على الناس يقتلني . لا ادري لم احتملت العيش معك طوال هذه السنين ؟

رجل (ساخرا) : لعل ذلك كان اشفاقا منك ، بل لعلك لم تجدي انسانا غيري يقبل بك ..

امرأة : قل غير هذا ايها الرجل ، فأنت تعلم ان الرجال كانوا يتسابقون الى بابي .

رجل : آه .. ليت احد اولئك الرجال سبقني ..

امرأة : لا هم لك الا الشكوى . سيأتي يوم تذكر فيه خيري .

رجل (وهو يلاحظ وجود الشيء لاول مرة) : انظري .

امرأة (وهي تحدّق الى الشيء مدهوشة) : ما هذا ؟

رجل : لا ادري .

امرأة : هل اقترب منه ؟

رجل : اخاف ان ينالك منه اذى .

امرأة : ولكنه هادىء ساكن كحمل وديع .

رجل : ربما كان فيه عفريت ينتظر ان يخرج منه .

امرأة : اذن نجعل منه خادما نأمره فيطيع .

رجل : اخاف ان يجعل منا خدما يأمرنا فنطيع .

امرأة : اقترب منه . حاول ان تلمسه . ان تعرف لم حط هنا .

رجل : لا . اني اوثر ان اخرج من هذا المكان دون ان اصاب بأذى.

امرأة : سأمد اليه يدي اذن . سأرى هل يتحرك ؟

رجل : امري لله . امد انا يدي . فانا رجل والرجال اولى بهذا العمل من النساء (يحاول ان يضع عليه يده) ..

امرأة : لا تخش شيئا .

رجل : اخاف ان تشل يدي .

امرأة : قلت لك دعني ..

رجل : بل المسه انا (يضع يده عليه ، فلا يصاب بشيء فتأخذه الثقة) أرأيت ؟ لقد لمسته .

امرأة : هل هو بارد ؟

رجل : كلا .

امرأة : هل هو ساخن اذن ؟

رجل : كلا .

امرأة : قل لي ما هو اذن ؟

رجل : لا ادري .

امرأة (كمن اتته فكرة مفاجئة) : هل تظن انه ثقيل ؟

رجل : لماذا تسألين ؟

امرأة : ناخذه معنا .

رجل : نأخذ هذا الشيء معنا ؟

امرأة : اجل . قبل ان يأتي جارنا فياخذه .

رجل : وماذا يفعل جارنا به ؟

امرأة : لا شك ان صاحبه سيدفع لنا به ثمنا باهظا .

رجل (يحاول تحريك الشيء) : اوف . انه ثقيل .

امرأة : سأحاول ان اساعدك .

رجل : هل انادي جارنا ؟.. لعله يساعدنا .
امرأة : لا . لا تنادي احدا .. لا اريد ان يشركنا فيه احد .
رجل : عينك ضيقة ايتها المرأة ..
امرأة : لا ادري لو لم اكن زوجتك ماذا كان يمكن ان يحدث لك ..
رجل : اكون انسانا مطمئنا .
امرأة : بل تجرك الكلاب ..
رجل : لسانك بحاجة الى قطع ..
امرأة : انت تغار مني .
رجل (مستهزئا) : اغار منك ؟
امرأة : تغار من عقلي .. من فهمي .. من جمالي ..
رجل : اسكتي والا .. (يرفع يده ليضربها) .
امرأة (تبكي) نضربني .. يا لي من امرأة مسكينة ..
رجل : عدنا الى البكاء .
امرأة : حظي مسخم .. لو اردت ان اتزوج الوالي نفسه لفعلت .. ولكنني احبك انت ..
رجل : لم اشأ ان اكون فظا ، ولكن كلماتك كانت اهانة لي .
امرأة : سأغفر لك عملك هذا . ولكن قل لي أليس من الافضل ان نجر هذا الشيء حتى نصل به الى بيتنا ؟
رجل : ستلزمنا حبال كثيرة .
امرأة : هل نذهب الى البيت فنأتي بها ؟
رجل : هلمي قبل ان يسبقنا اليه احد .

(يخرجان)

الغريب : ضيقة عيون اهل هذه البلدة ، ضيقة عقول ابنائها . ترى هل نسيت هذه البلدة ان العصافير لم تزل تشتاق ان تزقزق على اغصانها ؟ ترى هل نسيت ان في اعين اطفالها الف نبع تود اسراب الحساسين المهاجرة ان تغمس مناقيرها الطرية فيها قبل ان تنزح الى ارض لا يعرف مكانها احد ؟ يخيل الي انها بلدة قد اكتوت احداقها حتى غدت اهدابها لا تنطبق الا اذا استسلمت لنوم تافه بليد . انارضها لم تزل سندسا مطلولا.. ولكن الف قدم غليظة داست حشائشها .. ان مياهها لم تزل تسيل كأنها انهار عسل ولكن الف فم دنس لوث ينابيعها .. اما سماؤها فلم تزل نافذة زرقاء مفتوحة على الأبد العظيم ولكن الف عين حاقدة سوداء تحاول ان تسدها .

(يدخل رجلان يديران بصريهما في المسرح ثم يخرجان)

نعم . لقد بدأت البلدة تتسامع بأنباء هذا الشيء . ولا شك في انها قادمة بعد حين لتسأل اسئلة ليس عند احد منها جواب عليها .

(يدخل رجلان آخران يقتربان من الشيء في حذر ثم يبتعدان مذعورين ويخرجان من المسرح مهرولين)

مسكينة هذه البلدة . لقد هرب الحلم من عيونها .. لقد نسيت اهدابها كيف تنسج من اساطير السماء حكاية لا فناء لها . لقد اهرقت جرار الطيب . لقد ماتت السنابل . لقد اصبحت الكلمة ضجة لا تقصد الا لذاتها . لقد غدت الفكرة ذريعة لاصوات لا معنى لها . اما الرحيل عن البلدة فقد صار حلما يراود كل انسان .. ولكن قلة من اهل البلدة كانت تقدر عليه . ترى ماذا يحدث حين يرى الناس ان بابا قد فتح لهم للخلاص ؟ هل يظلون في سبابهم قانعين ام ان نسمة من السماء سوف تهب على رمادهم البارد فتعيده نارا ؟

(تدخل جماعة من الرجال والنساء)

رجل : اقترب لا تخش شيئا .
رجل : ماذا ؟
رجل : كن جسورا . قلت لك لا تخش شيئا .
رجل : الاشياء التي لم اعتدها تثير خوفي .
رجل : تعال هنا .
رجل : انظر هل ترى له عينين ؟
رجل : بل ارى انوفا . عشرين الفا على الاقل .
رجل : اللون ابيض ناصع . من اين اتى يا ترى ؟
رجل : اكاد احس في داخله نارا . أهو قطعة من بركان قديم ؟
رجل : بل لعله نيزك هوى من السماء.
رجل : كلا . انه مركبة بدون سائق .
رجل : او سائق بدون مركبة .
رجل : ليس هذا وقت هزل .
رجل : لن نكون جادّين ما دام الهزل فضيلة في عرف اهل هذا الزمان .
رجل : الم يسع احد بنبأ هذا الشيء الى الوالي ؟
رجل : لا بد ان جواسيسه قد نقلوا اليه النبأ .
رجل : جواسيس الوالي لا يرون الا عوراتنا .. اما هذه الاشياء المهمة فان عيونهم تمر بها دون ان تلحظها .
رجل : سيتبرع احد الفضوليين منا فيقرع باب الوالي لعله ينال منه مكافأة .
رجل : انظر لقد جاء جارنا التاجر . لا شك في ان عينيه لن تخطئا معرفة ما في هذا الشيء من كنوز .
رجل : وهاهوذا حكيم البلدة . لقد هرع اليه الناس ليسألوه عن رأيه فيما حدث ..

(يدخل الحكيم)

الحكيم : من الذي طلب احضاري ؟
التاجر : البلدة كلها منشغلة بهذا الشيء الذي نزل فيها .
الحكيم : وماذا يريدني البلدة ان افعل ؟
التاجر : ان تجد لنا حلا لمشكلتنا هذه .
الحكيم : وأنتم ؟ أليس لكم عقول تستعملونها ؟ أليس لكم رأي فيما يجري في بلدتكم ؟
التاجر : انت اكثرنا علما وأوفرنا حكمة ولهذا لجأنا اليك .
الحكيم : الحكمة وحدها لا تستطيع ان تحل مشكلاتكم هذه ؟ فهل لديكم الارادة الكافية لتنفيذ ما اراه ؟
اصوات : نعم . نعم . نعم .
الحكيم : قولوا لي . لو طلبت اليكم ان تنقلوا هذا الشيء من مكانه، فهل انتم فاعلون ؟
اصوات : نعم . نعم .
الحكيم : واذا قلت لكم ان يتنازل كل رجل منكم عن ساعة من نومه لنفكر فيها في امر هذا الشيء ، فهل انتم فاعلون ؟
اصوات : نعم . نعم .
الحكيم : واذا طلبت منكم جزءا من اموالكم لنبني حول هذا الشيء حصنا ، فهل انتم فاعلون ؟
اصوات (قليلة بدون حماس) : نعم .
الحكيم : مالكم لا تصرخون بملء افواهكم : نعم .
رجل : اصواتنا ضعيفة لا قوة فيها .
رجل : لقد اصابني البرد امس فبح صوتي .
رجل : اكذب كما شئت ، فقد سمعتك امس تنبح كما ينبح كلب ضار.
رجل : اخرس . قطع الله لسانك .
رجل : أقلت لي اخرس ؟سأعرف كيف اعلمك الادب .

(يتماسك الرجلان)

رجل (وهو يحاول ان يحول بينهما) : لا يا جماعة ! أمن الحكمة ان يصبح النقاش سبابا ؟
رجل : لقد شتمني .

رجل : اراد ان يتهمني بالكذب .
رجل : ربما وجدنا له عذرا فيما قال لولا ان الوقت ليس وقت جدال.
رجل : اتركوا الرجلين يتقاتلان .
رجل : اتركوهما .
رجل : لا يا جماعة ! الا ترون ان حكيم البلدة يهم بمغادرة المكان ؟
رجل : اسكتوا يا ناس . فنحن لم نسمع بعد رأي الحكيم في هـذا الشـيء .
رجل : هذا صحيح . لقد نسينا . ما الذي سنصنع بهذا الشيء ؟
رجل : انصتوا ! كان الحكيم يحاول ان يحدثنا عنه .
الحكيم : لم يبق لي ما احدثكم به . لقد نفدت اقوالي . صـارت الفاظا لا نفع فيها .
رجل : ماذا ؟ ان الاقوال لا تنفد . ألست ترى الى هذا الضجيـج الذي نحدثه والذي لا نستطيع له ايقافا ؟
الحكيم : هذا ما أردته تماما . لقد نفدت الاقوال ولم يبق الا الضجيج.
رجل : ولكن ماذا تريد منا ان نصنع ؟ ان الضجيج يحول بيننا وبين الاستسلام لقدرنا الموجع .
رجل : ثم ان الوالي يريد منا الا نفكر على الاطلاق .
الحكيم : وما شأن الوالي في عقولكم ؟ هل بايعتموه على ان يكون له كل شيء حتى العقول ؟
رجل : لا ادري . انها سنة كانت فينا .. وما زلنا نتبعها حتى يومنا هـذا .
الحكيم : اما تغير شيء في حياتكم هذي ؟ اما تبدل شيء في عقولكم هـذي ؟
رجل : نحن فئة شريفة يا سيدي لا تريد ان تؤذي الوالي في فعل او قـول .
الحكيم : بل قطيع من السائمة لا عقل لها ولا ذراع .
رجل : الحكيم يشتمنا .
رجل : كنا في امر صرنا في آخر .
رجل : كنا نستشيره فصار يكيل لنا السباب .
رجل : لا يا جماعة ! الحكيم يحبنا ولا يريد بنا الا خيرا .
رجل : الذنب ذنبنا اذن . لقد اغضبناه .
رجل : انت وحدك السبب .
رجل : بل انت .
رجل : بل انت .
الحكيم : يا لها من بلدة ! لا احد فيها يقف لحظة ليسأل نفسه أأذنب ام لا .
رجل : وما الفائدة من هذا ؟
الحكيم : لا فائدة . لا فائدة على الاطلاق .
رجل : اجل . لا فائدة .
الحكيم : لا امل لكم في النجاة اذن . لا امل لكم في النجاة . انـي لانظر في هذه الوجوه التي اراها امامي فلا ابصر غير احداق بلهاء لا ارادة فيها . لقد سئمت الاقامة بينكم ولم يبق لي الا الرحيل عن هذه البلدة التي احببتها .. انها بلدة جميلـة ولكنها عمياء . ما بالكم تحدقون الي لا تصدقون ؟ أيسوؤكم ان يقال عن بلدتكم انها عمياء ؟ أيدهشكم ان اقذف بالحقيقة امامكم خالصة صادقة وانتم الذين تخترعونها كل يوم وتزورونها دون حياء ؟
رجل : لقد ظلمتنا ايها الحكيم . فان لنا اعينا نبصر بها ولكن ايدينا مغلولة الى اعناقنا .
الحكيم : لقد ظلمت نفسي قبل ان اظلمكم . ظلمتها بصمتي على عبثكم، ظلمتها بسكوتي عن نقائصكم .. لشد ما اود لو ان الزمـان يرجع بي القهقرى حتى اعود فتيا استطيع ان اؤدبكم كمـا احب ان اؤدبكم اليوم . وان أدلكم على طرائق خيركم حتـى اذا ما ابيتم ان تسلكوها عرفت اين انا منكم وأين انتم مني .
رجل : ما فات فات . فلنبدأ من جديد ايها الحكيم .
الحكيم : لو كان لي فيكم زنة قمحة من امل لما تركتكم .
(يأخذ الحكيم في الانصراف)
رجل : الحكيم غاضب اليوم .
رجل : قل له ان يعود .. فالبلدة تحتاج اليه .
الحكيم (ملتفتا) : لا امل لكم في النجاة اذا لم تغضبوا .. اما انـا فانني احتاج الى البلدة كما تحتاج هي الي ..
رجل : ولماذا لا تبقى اذن ؟
الحكيم : سوف اعود عندما ينحسر الغبار عن عينيها فتعود سنابلهـا خضراء كما كانت .
(يخرج الحكيم)
رجل : لقد رحل الحكيم ..
رجل : ما يزال عندنا الوالي ..
رجل : الوالي يملك ولا يحكم ..
رجل : لا حاجة بنا الى رجل لا يصبر على حماقاتنا ..
رجل : انظر .
رجل : ماذا ؟
رجل : هل ترى في هذا الشيء خطرا ؟
رجل : لا ادري .. اترك هذا الى تقدير الوالي .
رجل : ويلك يا رجل ! أليس لك عقل تستطيع ان تنتفع به ؟
رجل : ما فائدة العقل في هذه البلدة ؟
رجل : انظر ..
الرجلان (معا) : ماذا ؟
رجل : لقد اتى الوالي ..
(تسمع اصوات طبول يدخل بعدها الوالي ووراءه السياف وثلة من النواطيـر)
الناس : سيدنا الوالي . سيدنا الوالي .
الوالي : قيل لي ان شيئا ما قد نزل في المدينة .. فلـم اشأ ان اصدق ما قيل لي .
السياف : افسحوا المكان لسيدنا .. انه لا يرى شيئا .
(يتفرق الناس من حول الشيء ويقفون على اطراف المسرح)
الوالي (مدهوشا) : ما هذا ؟
السياف : اذا اردت رأيي فمن الافضل الا تقترب منه .
الوالي (متراجعا) : انت على حق ! انت على حق ! فليس من الحكمة ان يخاطر الوالي كما يخاطر اي انسان عادي .
رجل : ولكننا نريد ان نعرف ما هذا الشيء يا سيدنا ..
السياف : اسكت . ان سيدنا الوالي يفكر .
الوالي : اجل انا افكر . اجهد ذهني . احاول ان استرجع الـى ذاكرتي ما مر بي من تجارب ..
رجل : ولكن اسرع يا سيدنا قبل ان يلد هذا الشيء شيئا اخر فتصبح مشكلتنا مشكلتين .
الوالي : العجلة من الشيطان يا بني . انني افكر .
السياف : صمتا ايها الناس . الا ترون الى سيدنا الوالي يفكر .
رجل : لو سألت حكيم البلدة عن رأيه فيما يجري لعل عنده تفسيرا.
الوالي : سيكون لكل فرد منكم ان يقول رأيه ولكن ..
السياف (مكملا) : في حدود القوانين .
الوالي : اجل في حدود القوانين .
رجل : ولكن أليس من حقنا ان نعرف ماهية هذا الشيء ؟
الوالي : بلى . لنقل اولا ان هذا الشيء ليس حيوانا .
(اصوات ضحك)
السياف : ليس هنالك ما يضحك . فمن المؤكد ان هذا الشيء ليس حيوانـا .

الناس : هذا صحيح .
الوالي : ولنقل ثانيا ان هذا الشيء ليس نباتا .
الناس : ليس نباتا . ليس نباتا .
احد الحاضرين (مقلدا صوت الوالي) : ولنقل ثالثا ان هذا الشيء ليس انسانا .

(ضحك)

السياف : اخرس ايها الرجل . ان سيدنا الوالي لا يقول الا حقا..
رجل : وانت ايها السياف ، ما رايك في هذا الشيء ؟
السياف : رأيي ان نرقب الحالة بعين يقظة .
اصوات : اجل . عين يقظة .
السياف : فنضع حراسا في مشارف بلدتنا .. ونبث عيوننا في كل مكان .
اصوات : اجل . الحراس والجواسيس . كالعادة كالعادة .
السياف : ثم نفرض على البلدة نظاما صارما ..
اصوات : ونكبل اصواتها . ونكتم انفاسها ..
السياف : انا لا امزح ..
الناس : اما نحن فمازحون .. مازحون .
السياف : ان الخطر المحدق بنا يهيب بنا الى ان نجند جميع طاقاتنا ..
رجل : بدا صاحبنا يبيض ..
رجل : ولكن ماذا تنوي ان تصنع بهذا الشيء ؟
السياف : اي شيء ؟
رجل : هذا الشيء الذي تراه ؟ هنا في الساحة .
السياف (متفكرا) هذا الشيء .. هذا الشيء ..
رجل : اجل . هذا الشيء ..
السياف (كانه وجد فكرة رائعة): هذا الشيء .. نضرب حوله نطاقا..
رجل : اجل . نضرب حوله نطاقا .
رجل : بل نحفر خندقا .
رجل : بل نحفر خندقين .
رجل : بل ثلاثة خنادق .
رجل : الخنادق وحدها لا تكفي .
رجل : هل نقيم سدا ؟
رجل : بل ننصب اسلاكا شائكة ..
رجل : الراي عندي ان نتجاهله .
رجل : لنقل انه ليس موجودا .
رجل : لنغمض اعيننا .
رجل : لنسد آذاننا .
رجل : لنزعم انه وهم .
رجل : بل نصر على انه لم يكن قط .
رجل : هذا غباء منا .
رجل : بل ذكاء لا حد له .
رجل : الموجود موجود لاننا نعتقد بوجوده .
رجل : فاذا انكرنا وجوده لم يكن موجودا .
رجل : عظيم ..
رجل : انا لا افهم شيئا ..
رجل : انت غير موجود ..
رجل : هذه يدي !
رجل : انت غير موجود .
رجل : هذا لساني .
رجل : انت غير موجود .. (يضربه)
رجل : آخ .
السياف : سأضع اثنين من رجالي لحراسته .
رجل : وماذا يفعلان ؟
رجل : ينامان ..
رجل : بل يلعبان الورق ..
رجل : بل يحاولان ان يعرفا هل يستطيعان ان يكسبا منه شيئا ؟
السياف : انت غير منصف . رجالي لا يفعلون هذا .
رجل : كلا ..
رجل : وماذا يفعلون اذن ؟
السياف : يقومون بالحراسة ..
رجل : لن نخاف اذن بعد اليوم من لص يدخل بيوتنا ..
رجل : الدنيا امان ..
الوالي : صمتا ايها الناس ..
السياف : صمتا . صمتا . ان سيدنا الوالي يريد ان يتكلم .
رجل : ليقل سيدنا شيئا ..
الوالي (متضايقا) : لقد هربت الفكرة من راسي .
صوت : اقبضوا على الفكرة . لقد هربت من راس سيدنا .
السياف : سأعلمك ايها الرجل كيف تحترم سيدنا الوالي .
رجل : وما شانك انت بسيدنا الوالي ؟ انه بالف خير ما دمت انت لا تدس انفك في كل امر .
الوالي : كنت اريد ان اسمع رأيا اخر قبل ان ادلي برأيي .
التاجر : لو اذن سيدنا الوالي لي ..
الوالي : اجل . انت رجل لا تنقصه الخبرة والمعرفة . قل ماذا نصنع بهذا الشيء ؟..
رجل : نجعله نصبا .
رجل : نفككه وياخذ كل واحد منا قطعة منه .
التاجر (بصوت وقور) : بل نبيعه .
اصوات : نبيعه ؟
التاجر : اجل نبيعه الى البلدة المجاورة .

(صمت)

رجل : هذا راي صائب ..
التاجر : اغلب ظني ان هذا الشيء مصنوع من معدن ثمين ..
رجل : ثمين جدا .
التاجر (منزعجا لقاطعة الرجل) : فاذا عرفنا زنة هذا الشيء وقدّرنا له ثمنا فربما استطعنا ان نبيعه بالف الف درهم .
رجل : الف الف درهم ! عظيم .
رجل : بل ربما بعناه باكثر من هذا المبلغ .
التاجر : هذا امر محتمل .
رجل : وماذا نفعل بهذا المبلغ كله ؟.
رجل : نبني به بيوتا ناوي اليها ..
رجل : ومدارس تعلم ابناءنا المعرفة .
رجل : ومشافي لمرضانا .
رجل : سأقترض منه جزءا اشتري به دواء لزوجتي .
رجل : اما انا فما يزال بيتي بدون سقف . لا شك انني ساستفيد منه لبناء سقف لبيتي .
رجل : الطريق الى حارتنا وعر ومظلم .. فلعل سيدنا الوالي يامر باصلاح ذلك الطريق .
رجل : ولكن هل يكفي ذلك المبلغ لاصلاح كل شيء ..
رجل : المبلغ كبير جدا .

الوالي : ولكنه لن يكفي لتلك الهموم الصغيرة التي تشغلكم .

التاجر (بوقار) : فانتم تعلمون ان سيدنا الوالي يحتاج الى مائة الف درهم لترميم القصر الذي يسكنه .

الوالي : هذا صحيح .

صوت : مئة الف طارت .

التاجر : وان مئة الف اخرى ستكون حصتي مكافاة لي على الصفقة التي سأجريها .

صوت : هذا حق لا جدال فيه .

السياف : اما انا فاريد مئة الف درهم اجرة لرجالي ، ومئة الف اخرى اشتري بها عتادا ، ومئة الف انفقها على تحصين البلدة ..

صوت : طار نصف المبلغ .

السياف : ثم ان العدل نفسه يتطلب ان ينال السياف حصة تعادل حصة النواطير الذين يعملون تحت امرته .

صوت هازيء : العدل سلطان .. لا بد من اعطاء السياف مئة الف درهم .

السياف : ثم ان البلدة تحتاج كما تعلمون الى سجن حديث يحفظ فيه الابرياء حتى لا يتعرضوا لاي اذى ياتيهم من السفلة .

رجل : اذن فلنخصص مئة الف درهم لبناء سجن .

رجل : ومئة الف درهم لاستئجار نواطير يحرسونه .

رجل : ومئة الف درهم لصنع نياشين يضعونها على صدورهم .

رجل : ومئة الف درهم لشراء عربات يركبونها .

رجل : ومئة الف درهم لشراء ابواق وطبول ..

السياف : كلا . الطبول لا تحتاج الى مثل هذا المبلغ .

رجل : بل تحتاج الى تسعة وتسعين الفا وتسعمائة وتسعة وتسعين درهما ..

رجل : بقي درهم واحد .

رجل : اجل . بقي درهم واحد .

رجل : درهم واحد للمدينة كلها .

رجل : تداوي به مرضاها .

رجل : وتصون طرقاتها .

رجل : وتقيم مدارسها .

رجل : وتروي مزارعها .

رجل : وتنسج ملابسها .

رجل : درهم واحد ..

رجل (معترضا) : بل نصف درهم ..

رجل : والنصف الاخر ؟

رجل : النصف الاخر ندفعه ضريبة ..

رجل : اترون ؟ سنصبح اثرياء ..

رجل : لا تقل هذه الكلمة . ستجعل الوالي يطمع فينا ..

(ضحك)

الغريب : البلدة تنتظر ان يقضي الوالي في امرها . انها تعرف فيه ارادة مشلولة . انها تعرف فيه بصيرة عمياء . ولكنها مع ذلك تنتظر من فيه كلمة يقولها لتنطلق مرددة لها .. معلنة اياها كانها كلمة منزلة . انها بلدة هازلة كما قلت . بلدة فقدت عنفوانها حتى تقلص وجهها فغدت ترتجل جبالها . ترتجل ثمارها . ترتجل النجوم التي تضيء طريقها . كم قلت في نفسي وانا انصت الى حديثها ، ليت هذه البلدة تعلم اي خطر يتهددها ! ليتها تحاول ان تتعلم مما اصابها شيئا . ولكنها بلدة تكره الحقائق . تكرهها عارية وتكرههـا مخبوءة وراء قناع ... بلدة تكره الحقائق لان الحقائق تصدمها . تثير دهشتها . تؤلمها . كانها تعجب ان يكون في الارض علم غير علمها . او فهم يخالف فهمها . ولكنها بلدة طيبة على الرغم من كل هذا ، فهل اتركها اسيرة جبنها ؟.. اسيرة وهمها ؟.. اسيرة ارادة مشلولة وبصيرة عمياء ؟.. اني لاحدق اليها وهي غارقة في لهوها فلا ادري هل ارفع سوطي فاسلخ به جلودها حتى اوقظ عقولها ام اغمض عيني وادوس الزنابق معها اذا داستها ؟.. واحرق البخور للهياكل الجوفاء التي اقامتها؟. لقد نظر واليها في امرها .. لقد اعمل فكره في مصيرها فتململت فوق ورقة صفراء فكرة حمقاء لا احب ان تفوت احدا.

السياف : ايها الناس . ايها الناس انصتوا .

رجل : انصتوا . ان سيدنا الوالي يهم ان يقرأ شيئا .

رجل : لعله قد توصل الى قرار ما .

السياف : انصتوا . انصتوا .

الوالي (الذي كان خلال هذا الوقت يكتب في ورقة طويلة) : ايها الناس . اريد منكم صمتا كاملا .

رجل : كلنا آذان .

الوالي : ساقرأ عليكم قراري .

رجل : لا شك انه قرار حكيم .

الوالي (وهو ينشر الورقة ويقرأ) : بناء على حقنا في اصدار القوانين الممنوح لنا بموجب قرار سابق منا ، وبعد تداول الراي مع اهل الراي ، قررنا ما يلي :

مادة اولى : يعتبر الشيء الموصوف في الوثيقة المرفقة والموجود حاليا في ساحة المدينة ملكا خاصا للوالي .

رجل : عظيم .

الوالي : مادة ثانية : يسمح للمواطنين من غير ذوي العيون الزرق بالاقتراب من الشيء الى مسافة لا تنقص من مترين وذلك في ايام الاعياد والعطل الرسمية فقط .

رجل : هذا عين الصواب . فانا مثل سيدنا الوالي اتطير من ذوي العيون الزرق .

الوالي : مادة ثالثة : صيانة الشيء والوقاية منه واجبان مقدسان يحصران بالدولة ويؤول اليها كل نفع يمكن ان ينشا عنهما .

رجل : يؤول اليها ام الى جيوب انصارها ؟..

الوالي : مادة رابعة : يجبى من كل فرد من افراد البلدة تجاوز الثالثة من العمر رسم يعادل مائة وخمسة بالمائة من مجموع دخله على الا يقل ذلك الرسم عن درهم واحد .

مادة خامسة : يعتبر اليوم عطلة رسمية .

مادة سادسة : ينشر هذا القرار ويطبق على ان يعتبر نافذا منذ السنة السابعة التي سبقت تاريخ صدوره .

التوقيع : نحن الوالي .

الجماهير : عاش الوالي . عاش الوالي .

صوت : اطال الله عمر سيدنا الوالي .

رجل : اليوم عطلة رسمية ..
رجل : ماذا نفعل اليوم ؟
رجل : نذهب الى الحانة لنسكر .
رجل : بل نذهب الى قصر الوالي لنقدم آيات شكرنا ..
رجل : يا لك من غبي ! هل نضيع يومنا هكذا ؟
رجل : وماذا تريد ان نفعل وأنا مفلس لا املك ثمن قدحمن الشراب؟..
السياف (بعد وشوشة من الوالي) : ايها الناس . لقد امر سيدنا الوالي أن يقام مهرجان لهذه المناسبة السعيدة ..
رجل : عظيم .
السياف : وها هي ذي فرقة الطبول تستعد لضرب طبولها .
(تدخل فرقة الطبول وتاخذ في الضرب)
الغريب (يخاطب الناس لاول مرة) : ايها الناس . ايها الناس .
رجال (وهم ينظرون اليه في ارتياب) : ماذا تريد منا ايها الغريب ؟
الغريب : اريد منكم ان تفكروا جيدا قبل ان تسلموا ارجلكمورؤوسكم للرقص .
رجل : لا تفسد علينا لهونا .
الغريب : انا لا اريد ان افسد عليكم لهوكم ولكن اريد منكم الا تلهوا قبل ان تعلموا لماذا تلهون .
رجل : سفسطة فارغة .
رجل : لماذا تريد منا ان نعلم لماذا نلهو ؟ يكفي اننا نلهو .
الغريب : ولكن هذا الشيء المنتصب امامكم .. هل عرفتم ما هو ؟
رجل : لقد جعله الوالي ملكا خاصا له .
الغريب : ولكن هذا لا يحل المشكلة .
رجل : لقد اخذ الوالي على نفسه مهمة وقايتنا منه .
رجل : وسندفع له رسما مقابل ذلك ..
الغريب : ولكن هل يستطيع الوالي ان يقيكم منه حقا ؟.
رجل : ولماذا ندفع له اذن ؟
رجل : اتركوا الرجل . انه يريد ان يفسد علينا لهونا ..
الغريب : ايها الناس .. ايها الناس ..
(تنفض الناس عنه)
انظروا لقد بدأ الدخان يخرج اسود قاتما ..
(الناس يتابعون لهوهم وضجيجهم
ايها الناس . لا تتركوا هذا الشيء منتصبا في ساحتكم .
لقد بدأ ينفث دخانا . لقد بدأ يهتز كأن في داخله بركانا .
ايها الناس . ايها الناس .ايها الناس . أليس فيكم عاقل واحد يستطيع ان يرى ما لم ير الاخرون ؟ ان هذا الشيء الذي نزل في بلدتكم ليس بركة يحاول كل منكم ان ينالها .. انه شر كبير مستطير .. انه اثمكم .. انه خطؤكم .. انه تهاونكم ..
(يسمع صوت قرقرة ضخمة)
ايها الناس ..
رجل : الفرار . الفرار .
رجل : ماذا حدث .. ماذا حدث ؟
رجل : ألست ترى ؟ انه الشيء اخذ ينفث دخانا ..
رجل : ويلي . ويلي . كانني اسمع انفجارا .
(يسمع صوت انفجار شديد يمتليء المسرح بعده بالدخان والظلمة)
(بعد لحظات قليلة يعود الضوء الى المسرح. فيرى الشيء وقد انفجر ويرى الموجودون جميعهم مطروحين على الارضما عدا الغريب)
الغريب : ألم اقل لكم انني لم آت هذه البلدة لاسكنها بل لانذرها ؟!!

دمشق — **عمر النص**

صدر حديثا

- لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين
  قدم له محسن ابراهيم
- مذكرات حرب الفوار في كوريا ضد اليابان
- الاستراتيجية الطبقية للثورة
  جورج طرابيشي
- نماذج لتخطيط الاقتصاد الوطني الشامل
  ترجمة المهندس احمد رجب علي
- الحرب الثورية في فيتنام
  غابرييل بونيه
- مسحوق الهمس (مجموعة قصص)
  د. يوسف ادريس
- البيضاء (رواية)
  د. يوسف ادريس
- المقاومة الفلسطينية
  جيرار شاليان
- جيش الثورة
  المارشال توخاتشفسكي
- علم الاجتماع الماركسي
  كونستانتينوف وكيل
- الاقتصاد السياسي للتخلف
  باران ولاكوست
- الامير الحديث
  غرامشي
- المسألة الزراعية في تونس
  طلائع الحركة الثورية
- قضايا الاستراتيجية الثورية في امريكا اللاتينية
  ريجيس دوبريه
- حزب الاستقلال الجمهوري
  عادل الصلح
- احاديث في العمل الفدائي
  الدكتور منيف الرزاز
- القوى السياسية في لبنان
  محاضرات النادي الثقافي العربي
- الثورة الفلسطينية ، ابعادها وقضاياها
  ناجي علوش
- الامبريالية الجديدة
  ماكدوف وحمزة علوي

تحت الطبع :

- دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية
  صادق جلال العظم
- ثلاث سنوات
  احمد بهاء الدين
- مناقشات حول القضية الفلسطينية
  وثائق جمعها ناجي علوش

دار الطليعة للطباعة والنشر
ص. ب ١٨١٣ ـ بيروت